تراثنا

نشرة فصلية تصدرها

مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث

العدد الرابع - السنة الأولى - ربيع ١٤٠٦

تراثنا

نشرة فصلية تصدرها مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث

- الإسهام في النشرة باب مفتوح لجميع العلماء والمحقّقين والمهتمّين بشؤون تراث أهل البيت عليهم السلام.
- الآراء المنشورة لا تعبّر عن رأي النشرة بالضرورة.
- ترتيب المواضيع يخضع لاعتبارات فنّية، وليس لأيّ اعتبار آخر.
- النشرة غير ملزمة بنشر كل ما يصل إليها.

المراسلات:

تعنون باسم **هيئة التحرير**

صفائيه ـ ممتاز ـ پلاك ٧٣٧ ـ ت: ٢٣٤٥٦

ص.ب ٤٥٤ ـ قم ـ الجمهورية الإسلامية في إيران

إسم النشرة: تراثنا

العدد الرابع ـ السنةُ الأُولى ـ ربيع ١٤٠٦ هـ.ق.

الإعداد والنشر: مؤسسة آل البيت ـ عليهم السلام ـ لإحياء التراث.

العدد: ٣٠٠٠ نسخة

من التراث الأدبي المنسي في الأحساء

الشيخ جعفر الهلالي

إنّ ممّا يؤسف له حقّاً: أنّ هذه الرقعة من الأرض والتي عرفت بـ (الأحساء) اليوم، وقد كانت تعرف قديماً بـ (هجر)، أو (هجر البحرين)، والتي إليها يشير المثل المشهور «كناقل التمر الى هجر» قد أغفلها الدارسون والمتصدّون لكتابة التاريخ والآداب بالخصوص.

يقول أحد أبناء تلك المنطقة: «فأنت إذا جئت تبحث في صفحات التاريخ فلا تجد ما يبرّد ظماك ولا ما يبلّ صداك ، وليس حظّك من كتب التراجم والآداب بأحسن من حظّك من صفحات التاريخ».

نعم أغفل التاريخ هذه الرقعة، ولكنّ الحقيقة لابدّ أن تظهر ولا بدّ أن تبرز ولا بدّ أن تأخذ محلّها الذي قدّر لها، كما أخذت حقّها من الشمس المنيرة التي تشرق عليها في نهارها، ومن القمر الذي يضيئ عليها في ليلها، و يسايرانها في ركب الزمن إلى أن يشاء الله سبحانه في انتهائه!

إنّ الحقيقة تقول: إنّ هذه الرقعة مشى عليها بشر لهم عقولهم المفكرة التي منحهم الله إيّاها، كما منح غيرهم من البشر، فساهموا في الحركة العلمية بجميع فنونها من فقه وغيره، كما ساهموا في الحركة الأدبية بجميع فنونها من نثر و شعر، ولم يتخلّف ركبهم في ذلك عن ركب غيرهم من الأُمّة الإسلامية وغيرها، فهم قد طبّقوا قوله صلّى الله عليه وآله: «اطلبواالعلم من المهد إلى اللحد»، كما لزموا القول المأثور: إنّ من الجهل أن يعيش الإنسان في الجهل، كلّ هذا و إن تنكّرت كتب السيرة لكثير منهم، ولم تتنكّر لمن لا

يستحقّ الذكر.

نعم لا أُغمض أنّ البعض دوّن عن بعضهم ولم يغفل أن يسجل اسمه في كتابه، فكتب عن الشيخ فلان: وكان من أهل الفضيلة عالماً فاضلاً. وكتب عن آخر: الشيخ فلان من أعلام الشعر وله شعر كثير. ولكنه تناسى أن يكتب عن ذاك بذكر شئ من مؤلّفاته، كما تناسى في هذا أن يذكر شيئاً من شعره.

(وعلى سنن من مضى درج من أتى بعده، والحقيقة غير هذا، فهناك العشرات ممّن ساهم في حمل الرسالة العلمية، وهناك العشرات ممّن ساهم في الأدب وخلّد له الزمن من شعره مهما أغفله كتّاب العصر)(١).

و ممّا يؤيّد هذا الرأي أنّه صدر قبل فترة ديوان باسم «ديوان هجر»، جمع فيه صاحبه أشعار جماعة من شعراء الأحساء، وهي خطوة حسنة، وكنت أظنّ أنّ هذا الديوان سيحتضن بين دفّتيه قصائد و أشعاراً لبعض هؤلاء الشعراء المنسيّين ـ على الأقل ـ ضمن من تصدّى لنشر شعرهم في هذا الديوان، ولكن يظهر أنّ العامل المذهبي عند جامع الديوان كان قد أثّر عليه فأسقط من حسابه أن يعنى بنشر شعر هؤلاء الشعراء، أو ذكرهم ولو ببعض ما يدلّ على وجودهم كشعراء يعيشون في هذه المنطقة، ولكنّ شيئاً من هذا لم يحصل.

وهذا العامل في إغفال هذاالنوع من الشعراء كان قد تأثّر به غير واحدٍ من كتّاب الأدب و أصحاب المعاجم، فالمعروف عن صاحب كتاب «نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب» أنّه أهمل الكثير من الشعراء الّذين عرفوا بموالاتهم لأهل البيت عليهم السلام، وهكذا الحال بالنسبة لصاحب «الذخيرة» العماد الإصفهاني، فقد أسقط هوالآخر من حسابه مجموعة من هؤلاء الشعراء، وعلى هذه الوتيرة مضى الثعالبي في «اليتيمة»، والميداني في «معجم الأُدباء»،وسنتناول هذا الموضوع بالتفصيل في مقدّمة كتابنا «معجم شعراء الحسين عليه السلام».

والذي نحن بصدده الآن هوضياع هذا الأدب لمدينة الأحساء، و نسيانه.

و تتلخّص الأسباب بما يلي:

---

(١) مابين القوسين مقتبس من كلمة للعلاّمة الشيخ باقر الهجري أحد علماء الاحساء، كان قد صدّر به ديوان أحد شعراء الأحساء وهو الخطيب الشاعر الشيخ كاظم بن مطر.

١ ـ عدم تصدّي الدارسين للتأريخ والأدب، وعدم التوجّه منهم، و إغفالهم هذه المنطقة إلاّ القليل النادر، كما أُشير له سابقاً.

٢ ـ التأثّر بالعامل المذهبي لدى بعض من تصدّى لجمع شعر شعراء هذاالقطر كما بيّنّا ذلك.

٣ ـ عامل الخوف الذي ساد رجال العلم والأدب في تلك البلاد، وهذا ناتج عن الحملة الوهّابية في أول مجيئها، فقد تعرّض الناس و أهل العلم والأدب ـ بالخصوص ـ الى الإمتهان والقتل أحياناً، ممّا دعا البعض من رجال العلم والأدب أن يغادروا وطنهم و يهاجروا إلى سائر البلدان كإيران والعراق والبحرين وغيرها، و اضطرّالباقون إلى إخفاء مالديهم من تآليف علميّة أو دواوين شعريّة، و ذلك بدفنها في الأرض.

و أما ما سلم من هذا التراث وانتقل إلى يدالورثة من أبناء العلماء والأُدباء، فقد قام هؤلاء بسبب العامل نفسه بإتلاف ما ورثوه من تلك المأثورات العلميّة والأدبيّة وخصوصاً الشعر منها، و إذا أحسنوا رموها بين سفوح الجبال أو وضعوها في المساجد مع نسخ القرآن الممزّقة.

٤ ـ جهل من انتقل إليهم ذلك التراث، وحرص بعضهم حتى تلف كثير من تلك الكتب والدواوين، ولعلّ الجهل والحرص لم يختصّا ببلاد دون أُخرى، فهناك الكثير من التراث العلمي والأدبي قد ضاع في كثير من البلدان لهذا السبب أيضاً.

و بالرغم من كلّ هذا فقد وقفت في إحدى سفراتي الى بلاد الأحساء على مجموعة لا بأس بها من الآثار الأدبيّة والدواوين الشعريّة لبعض الشعراء هناك ، وقد نقلت كثيراً من القصائد والمقاطيع الشعريّة و بعض البنود، وقد استنسخت بعض الدواوين بكاملها، من ذلك ديوان الشيخ محمد البغلي من شعراء القرن الثالث عشر.. و كثير من شعراء هذا القرن والقرن الذي قبله، وممّن نقلت كثيراً من قصائده و تخاميسه و تشطيره الشيخ عبدالله الصايغ، كما نقلت له ملحمة مطوّلة في المعصومين الأربعة عشر، تبلغ ١٥٢٦ بيتاً حسب تعداد الشاعر لأبيات تلك الملحمة، و إن كان الذي وقفت عليه من أبيات تلك الملحمة يربو على هذا العدد بمائة بيت تقريباً.

وقد جارى فيها الشاعر قصيدة الملاّ كاظم الأُزري، وقد أشار الشاعر المذكور و أشاد بأفضليّة السبق له عليه، وقد نقلتها عن نسختين مخطوطتين موجودتين لدى بعض المؤمنين في الأحساء، وقد شرحت بعض كلماتها اللغويّة، وها أنا أغتنم هذه الفرصة

التي أتاحتها لنا نشرة «تراثنا» التي تصدرها مؤسسة آل البيت عليهم السلام، و أُقدّم للنشر جانباً من هذه القصيدة ليطلع عليها جمهورنا المسلم، عسى أن تتهيّأ فرصة أكبر لنشرها بكاملها إن شاء الله، فوفّق الله العاملين في هذاالحقل و بارك هذه المساعي إنّه سميع الدعاء.

الخطيب

الشيخ جعفر الهلالي

الشاعر:

هوالشيخ عبدالله بن علي بن عبدالله الوايل الأحسائي المعروف بـ «الصائغ».

ولد الشاعر في الهفوف عاصمة الأحساء، في حدود النصف الأول أو بعده بقليل من القرن الثالث عشر، ولم يحدّد بالضبط تأريخ ولادته، غير أنّه كان حيّاً عام ١٢٨١هـ، و هو تأريخ الفراغ من نظم ملحمته الشعريّة، كما أرّخها هو في آخر أبياتها.

والشاعر، بالإضافة الى ملكته الشعريّة، كان أحد العلماء المحصلين، أخذ دراسته العلميّة في مدينة الأحساء على يد علمائها آنذاك ، ومنهم الشيخ محمد أبوخمسين(١) فقد أخذ عنه الفقه والحكمة، ولا يدرى هل سافر الى النجف أم لا؟

آثاره:

للشاعر المذكور من الآثار المخطوطة ما وقفت عليه في الأحساء عند بعض المعنيّين بجمع تراث الأحساء ـ وخصوصاً الأدبي منه ـ وهي كما يلي:

١ ـ ديوان شعر كبير يتألّف من ثلاثة أجزاء في مختلف الأغراض والمواضيع.

٢ ـ كشكول كبير في مجلّدين سقطت أكثر أوراقه أو تلفت.

٣ ـ نهج الأُزريّة، وهي الملحمة التي سنقدم جزءاً منها للقارئ: تشتمل على أكثر من (١٥٠٠) بيت من الشعر، كما توجد له ثلاثة بنود، في التوحيد، والنبوّة، والإمامة.

وفاته:

توفّي الشاعر في قرية «سيهات» إحدى قرى مدينة القطيف، وكانت وفاته سنة ١٣٠٥هـ.

---

(١) أسرة آل أبي خمسين من الأسر العلميّة المعروفة في مدينة الهفوف بالأحساء، أشهرهم الشيخ موسى أبوخمسين.

«قصيدة نهج الأُزرية»

الفصل الأول

في التشبيب والغزل

هـذه رامـةٌ(١) وهـذي ربـاهـا ... فاحبسا الركب ساعةً في حماها
و أنيـخـابهـا المطـايـا ومـيـلا ... للثرى وانشقا أريج(٢) شذاها (٣)
وقـفـا بي ولـو كـلـوث إزار ... علَّ نفسي تنال منها مناها
و أُسائِلْ طلولَها عن ظعونٍ ... سار قلبي لسيرها وتلاها
و أُؤدّي لها يسيرَ حقوقٍ ... من كثير و أين منّي أداها
بمغانٍ(٤) حوت لحسنِ غوانٍ(٥) ... تتوارى الشموس تحت ضياها
من ظباءٍ كوانسٍ (٦) بخدورٍ ... حجبتها ليوثها بضباها
يا خليليَّ لا تلوما خليعاً ... خلعتْ نفسهُ غرامَ سواها
واسعداني ـ سُعدتما ـ في غرامي ... إنّ خيرالصحاب صحب صفاها
(١٠) أو دعاني بها أبُثُّ شجوناً ... كَلَمت (٧) مهجتي كلوم(٨) مُداها(٩)
أنافيها متيمٌ(١٠) وغرامي ... شاهد أنّني قتيل هواها

---

(١) رامة: اسم مكان تخيّله الشاعر مسكناً لأحبّائه الذين تغنّى بهم في مستهلّ قصيدته.
(٢) الأريج، توهّج ريح الطيب، تقول: أرج الطيب، أي فاح.
(٣) الشذا: حدّة ذكاء الرائحة.
(٤) المغاني: جمع مغنى، وهي المواضع التي كان بها أهلوها.
(٥) الغواني: جمع غانية، وهي الجارية التي غنيت بحسنها وجمالها.
(٦) الكوانس: جمع كانِس، وهوالظبي في (كناسه)، وهو موضعه في الشجر يكتنّ به و يستتر.
(٧) كَلَمت: أي جرحت.
(٨) الكُلوم: هي الجروح.
(٩) المُدى: جمع مدية وهي الشفرة.
(١٠) يقال: تيّمه الحب: عبّده و ذلّله.

كيف تهوى الملامَ نفسُ معنّىً ... كثرة اللوم في الهوى أغواها
ما لِنفسي و للسلوّ وهذا ... دمعُها أهرقته سرب دماها(١١)
صيّرته خضابها لا كُفِّ ... وخدود قد صرت من قتلاها
لست أنسى ـ وكيف أنسى!؟ زماناً ... قد تجلّت أيّامه بصفاها
وليالٍ قد أقمرت(١٢) بوصالِ العينِ(١٣) ... من غيدِها(١٤) و شطّ نواها
زمنٌ أينعت ثمارُ الأماني ... ليَ فيه و أتحفتني جناها(١٥)
حيث لم نلف واشياً ورقيباً ... نتّقي منهما وقوع جفاها
فتولّى كأنّه ومضةٌ(١٦) من ... برقةٍ أو كخفقةٍ(١٧) من كراها(١٨)
يا رعى الله تلك أوقات أُنسي ... تَمَّ حسنُ الزمان من حسناها (٢٠)
كم به من لبانةٍ(١٩) أنعشتْنا ... باجتِنا صفوها بوصل مَهاها(٢٠)
فقضينا به مناسكَ عشقٍ ... حيث إحرامنا بلبس هواها
ثم قد ضمّنا معرَّسُ وصل ... فأفضنا به لورد لُماها(٢١)
ثم حلّت نفوسنا مشعرالأمن ونالت من بعد ذاك مُناها
فنحرنا هديَ الجوى(٢٢) وحَلقنا ... من وشاةٍ لنا شعور رجاها
وقذفناهم برمي جمار البعدِ عنّا فأحرقتهم لظاها(٢٣)

---

(١١) الدُّمى: جمع دمية، وهي الصنم والصورة من العاج.
(١٢) أقمرت: أضاءت، يقال: ليلة قمراء أي مضيئة.
(١٣) العين جمع أعين: وهو واسع العين، والمرأة عيناء.
(١٤) الغيد: جمع غادة: وهي المرأة أوالفتاة الناعمة الليّنة الأعطاف، وكذلك الغيداء وهي بيّنة الغيد.
(١٥) الجنى: ما يجتنى من الشجر. يقال: جنى الثمرة أي تناولها من شجرتها.
(١٦) يقال: ومض البرق اي لمع لمعاً خفيّاً ولم يعترض في نواحي الغيم.
(١٧) يقال: خفق الرجل أي حرّك رأسه وهو ناعس.
(١٨) الكرى: النعاس.
(١٩) اللبانة: الحاجة.
(٢٠) المها بالفتح: جمع مهاة، وهي البقرة الوحشية.
(٢١) اللمى: سمرة أو سواد في باطن الشفة يستحسن.
(٢٢) الجوى: الحرقة و شدّة الوجل.
(٢٣) اللظى: النار، ولظى أيضاً: إسم من أسماء النار معرفةلا ينصرف.

ثم طفنا بكعبةِ الحسنِ منها واعتكفنا بها بهجرِ سواها
واستلمنا لأسودِ الخالِ منها و شِفاهٍ قد أنعشتنا شِفاها(٢٤)
وسعينا بصفوِ عيشٍ هَنِيٍّ مَرِءٍ(٢٥) لا بمروةٍ وصفاها
(٣٠) فأراشت(٢٦) لنا الليالي سهاما من صروف النوى(٢٧) فجدَّ جفاها
فتداعت إلى الفراق رفاقُ الأُنسِ منّا وَ نوَّهَت بدعاها
وجرى ما جرى ولا تسألا عن حال أهل الهوى غداة نواها
فلكم ثَمَّ من قلوب تهاوت مصعقات(٢٨) لفرط روع عراها
وقلوب تطايرت لو شيك البَين (٢٩) منّا كأنَّ نافٍ نفاها
لست أنسى على النقى (٣٠) وقفةَ التوديع والعينُ لا يكف بكاها
ثم سارت مطيُّهم تذرع البيدَ ولكن قلوبنا تِلقاها
وانثنينا بصفقةِ(٣١) الغُبْنِ(٣٢) ظُمياً للقاها و أين منّا لقاها
وكذا عادة الزمان بأهلِ الفضلِ لازال مولعاً بجفاها
فاسألاني به فإنّي خبير ذقتُ أحوالَهُ على استقصاها
(٤٠) برقهُ خُلَّبٌ(٣٣) و سُحبُ أياديه جهامٌ (٣٤) لمن يروم استقاها(٣٥)
لم يَهَبَ نعمةً بلا سلب أُخرى لبنيه ولا يدوم بقاها

---

(٢٤) يقال: شافهه شفاهاً و مشافهةً، أي خاطبه فاه إلى فيه.

(٢٥) يقال: مَرِءَ الطعام أي صار مريئاً.

(٢٦) أراش السهم: ألزقَ عليه الريش.

(٢٧) النوى: البُعد.

(٢٨) يقال: صعق الرجل أي غشي عليه.

(٢٩) البين: الفراق.

(٣٠) النقى: مقصور، وهو كثيب الرمل.

(٣١) يقال: صفق له بالبيع والبيعة، اي ضرب يده على يده، و بابه ضرب، و يقال: ربحت صفقتك للشراء، وصفقة رابحة وصفقة خاسرة.

(٣٢) الغبن: الخداع والغبنة، يقال: غبنه في البيع أوالشراء، أي خدعه وغلبه.

(٣٣) يقال: برق خلّب وسحاب خلّب الذي لامطر فيه كأنّه خادع، ومنه قيل لمن يعدُ ولا ينجز: إنّما أنت كبرق خُلّب.

(٣٤) الجهام بالفتح: السحاب الذي لاماء فيه.

(٣٥) استقى استقاءً: طلب ما يشربه.

من عذيري له!؟ وفي كلّ آنٍ تنتحيني صروفُه(٣٦) بعناها
مستطيلاً بخفض (٣٧) قدري ولم يدرِ بأني من المعالي فتاها
موقني فوقهن ناشٍ وطفلاً قد غذتني بَدرها ثدياها
ولئن نابني بخفضِ مقامي بعيونٍ داعي الغوى(٣٨) أغواها
لايعاب الإكسير(٣٩) يوماً إذا ما جهلته من الورى جهلاها

الفصل الثاني
في التخلّص إلى المدح
ويبدأ بمدح النبيّ صلّى الله عليه وآله

كيف لا تملك المعاليَ نفسٌ حبُّ طه بنوره زكّاها(٤٠)
احمد المصطفى أجلّ نبيٍّ بعث الله للورى لهداها
علّة النشأتين فيمن يرى الله ومولى وجودها وفناها
ذات قدسٍ تذوقت كلُّ ذاتٍ من هيولى(٤١) هياكل حلاّها (٥٠)
هو في الكائنات أوّل نفسٍ بُرأ الله كنهها فاجتباها(٤٢)
وحباه(٤٣) من فضله بمعالٍ عرك (٤٤) النيّراتِ أدنى علاها
ما اصطفى في العباد شخصاً سواه للعبوديّة التي يرضاها
ثم آتاه ما يشا من علوم الملكوتيّةِ(٤٥) التي أبداها

---

(٣٦) إنتحى: بمعنى قصد، يقال: انتحى الرجل أوالشيْ: قصده و تنتحيني هنا بمعنى تقصدني.

(٣٧) خفض: ضد رفع.

(٣٨) الغوى: الضلال، و اغوى بمعنى أضلّ.

(٣٩) الإكسير: ما يلقى على الفضة ونحوها فيحوّلها الى ذهب خالص. والكلمة يونانية. وقال في تاج العروس: الاكسير - بالكسر -: الكيماء.

(٤٠) زكّى: بمعنى طهّر و أصلح. يقال: زكاه الله، أي طهّره و أصلحه.

(٤١) الهيولى من المصطلحات الفلسفية - يونانية - جمع هيولات: المادة الأولى.

(٤٢) إجتباه: إختاره و اصطفاه.

(٤٣) يقال: حباه بكذا، أي أعطاه إيّاه بلا جزاء. ومنه الحَبوة والحُبوة والحِبوة وهي العطية.

(٤٤) يقال: عركَ عركاً الأديم: دلكه، والشيْ: حكّه حتى عفّاه.

(٤٥) الملكوت: يطلق على الملك العظيم، العزّ والسلطان، والسماوات.

بل و أنهىٰ اليه خيرَ مزاياً كبرت رفعةً بأن تتناها
عالَمٌ عالِمُ السرائرِ أسرى(٤٦) سرَّه في عوالمٍ أنشاها
جاء للانبياءِ منها يسيرٌ فيه قد فُضِّلَتْ على من سواها
جمع الله فيه كلَّ كمالٍ أخذت عنه كلُّ نفسٍ هداها
أوّل السابقين فى حلبةِ(٤٧) الفضلِ ومصباحُ أرضِها وسماها
(٦٠) نَيِّرٌ أشرق الوجودُ بإشراقاتِ أنوار عزّةٍ جلاّها(٤٨)
و به قرَّتِ القوابلُ طرّاً بقبولِ الوجودِ عند دعاها
واستقامت به السمٰوات والأرضُ ومن فيهما بحسنِ استواها
مَلِكٌ مُلكُه الممالكُ لا بل هو قيّومُها(٤٩) الذي يرعاها
وهو ناموسُها(٥٠) العليمُ بما قد عملتْهُ بجهرِها و خفاها
وهوالكِلْمَةُ التي انزجر العمقُ لها واستقام من جدواها
عيلمٌ فاض للعوالمِ منه خيرُ فيضٍ حَوَتْ به نعماها
كلُّ ما في الوجودِ من كائنات ذوالمعالي لأجله سوّاها
وكفاه على الخلائقِ طُرّاً أنّه كان في العُلىٰ مصطفاها
وله اشتقّ ذوالجلالة من أسمائِهِ اسماً سمت به حسناها
(٧٠) فهو في خلقِهِ الحميدُ وهذا (أحمد) يالهُ عُلىً لا يُضاها
سرّ فضلٍ لمّا يطقْ كتمهُ الغيبُ لأسرار حكمةٍ قد حواها
لم يزل في عوالمٍ منه يجري في بحورٍ به أُفيضَ نداها

---

(٤٦) أسرى إسراءاً: سار ليلاً، و أسرى به: سيّره ليلاً، والكلمة هنا لا تدلّ على غرض الشاعر، وهي كذا وردت في الأصل.

(٤٧) يقال: هو «يركض في كلّ حلبة من حلبات الجد» أي في كلّ سباق المجد، و أصل الحلبة تطلق على الدفعة من الخيل في الرهان خاصة، والخيل تجمع للسباق.

(٤٨) جلّى الأمر: أظهره.

(٤٩) القيّوم والقيّام: الذي لابدء له والقائم بذاته، وهما من أسمائه تعالى، والشاعر أطلق الكلمة على النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ إطلاقاً مجازيّاً، و ذلك لما أعطى الله نبيّه من قيمومة على الكائنات والخلائق.

(٥٠) الناموس: يقال ناموس الرجل صاحب سرّه، الذي يطلعه على باطن أمره و يخصّه بما يستره عن غيره، وعليه فمعنى الناموس هنا بقول الشاعر: أنّ الرسول ـ صلّى الله عليه وآله ـ هوالذي أطلعه الله على غيبه، واختصّه بما لم يخصّ به غيره.

فـأتى عـالَـم الشـهـادةِ هـاد أُمـاً قـادهـا دواعـي غَـواهـا
فـبـدا في سما الـرسـالـةِ شـمسـاً مشرقـا فوقَ كلِّ شـيءٍ ضِياها
جـاء مـنـه لهـا ولم تَـبْـدُ آيـاتٌ عظـامٌ بَـهَـرْنَ (٥١) مَـن قَـدْ رآهـا
كتهاوي شُهبِ السَّما وهـي تنبي أنّه للـعِدى شـهـابُ رداها(٥٢)
وانشـقـاق الإيوانِ يُـنـبئُ عـنه أنّـه بـالهـدى يشـقُّ عصـاهـا
وانطِفا(٥٣) نارِ فارسٍ عنه مُنْـذُ أنّـه آن مـن لظـاهـا انطـفـاهـا
واغـتـدت باسمه الهواتف تدعو معلـنـاتٍ و فَوَّهت(٥٤) بنـداها
و أتـتْ أُمَّهُ الـبشـائـرُ منهـا أنّـه في الـورى بشـيـرُ هـداهـا (٨٠)
ورأتْ مـن كـرامـةِ الله مـنـه مـا أُقِـرَّتْ بـنـيـلِهِ عـيـنـاهـا
وتهـاوى لـدى ولادتـهِ عـن كـعبةِ الله كلُّ جبتٍ(٥٥) علاها
وسـرى مـنـه في فـلاسـفةِ الـكـهّـان(٥٦) حتـفٌ (٥٧) أبـادهـا فـاخـتـلاهـا(٥٨)
و بـه المـاردون(٥٩) نـالـت دحوراً(٦٠) و ثـبـوراً (٦١) بـه تحسّـت رداهـا
ومـن الحـجـب بـالـبشـارةِ جـبـرائـيـلُ بـأمـلاكِـهـا الـغُـرِّ فـاهـا

---

(٥١) يقال بَهره بهراً: غلبه و فضله، و بهر القمر: غلب ضوءهُ ضوء الكواكبِ و بهرت فلانةُ النساء: غَلَبتهنّ حسناً.

(٥٢) الرّدى: الهلاك .

(٥٣) يريد: وانطفاء، فحذف الهمزة للضرورة الشعريّة.

(٥٤) يقال: فاه فوهاً بكذا: نطق به، و تفوّه بكذا نطق به أيضاً، ومنه الخطيب المفوّه: المنطيق البليغ الكلام.

(٥٥) الجبت: الصنم.

(٥٦) الكهّان جمع كاهن: وهو من يدّعي معرفة الأسرار أو أحوال الغيب.

(٥٧) الحتف جمعه حتوف: الموت.

(٥٨) يقال: اختليته أي قطعته.

(٥٩) الماردون جمع مارد: وهو ذوالمرود العاتي، كأنّه تجرّد من الخير، ومراد الشاعرهم مردة الشياطين الّذين كانوا يصعدون في السماء يسترقون السمع فلمّا قارب زمن النّبوة عند ولادة النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ حيل بينهم و بين ذلك ورجوا بالشُّهب.

(٦٠) يُقال: دحره دَحْراً و دحوراً: طرده و أبعده.

(٦١) يقال: ثبره ثبوراً: أي أهلكه.

و به الأرض أشرقت واستطالت(٦٢) ـ إذ أتاها ـ على علوٍ سماها
و به مكّةٌ على كلِّ شيءٍ فخرتْ إذ حواه منها فناها
وحقيقٌ بها إذا افتخرت بالمصطفى أحمدٍ على من سواها
قد حوت سؤدداً تودُّ دراري الشهبِ منه تكون من حصباها
(٩٠) إذ حوت سيّدَ السمٰواتِ والأرضِ ومختارَ خالقٍ سوّاها
كعبة الفاضلين في كلِّ فضلٍ بل وناموسها الذي ربّاها
إن يكن جاء للنبيّين ختماً فلقد كان في الوجودِ أباها
ما أتى آخراً سوى لمزايا فيه ذوالعرش حكمة أخفاها
إذ هوالعالِمُ المفيضُ عليها كلَّ علمٍ أتى به أنبياها
فهي عنه بكلِّ عصرٍ تؤدّي ما من الرشد للبرايا عناها
فلذا ما حوته من بمكرمات وجلالٍ إليه يُعزىٰ انتهاها
سل به آدماً فكم من أيادٍ من جلالٍ إليه قد أسداها
و به تاب ذوالجلالِ عليه إذجنى من خطيئةٍ حوباها
وله أسجدَ الملائك والأسماء طرّاً لحفظِهِ أملاها
(١٠٠) وله نال بالسفينة نوحٍ خيرَ عقبى وفلكه نجّاها
والخليلُ اغتدتْ له النارُ برداً وسلاماً به و أطفى لظاها
و هو سرُّ العصا لموسىٰ فألقتْ عنده الساحرون سِلماً عصاها
ولعيسى أعار سرّاً فأحيا من قبور دوارسٍ موتاها
كم له في العلى سوابقُ فضلٍ مستحيلٌ على العِدادِ انتهاها
يعجز العَدُّ عن مناقبِ نفسٍ ذوالمعالي لأجله سوّاها
فهي صنعٌ له وكلُّ البرايا احكمتْ صنعَها البديعَ يداها
ظهرت باسمِه العظيم فكلٌّ خاضعٌ تحت مُجتلى كبرياها
أنبأ الخلقَ سورةُ النور عنه نبأ كالشموس رادَ ضحاها
تاه في وصفِه الخلائقُ طرّاً وحقيقٌ بوصفه أن يتاها
(١١٠) صاغه الله جوهراً وهيَ منه عرضاً منه كونُها قد أتاها

---

(٦٢) استطال هنا: بمعنى طال، وهو متعدٍّ، و ـ سماها ـ مفعول لاستطالت.

سيّدٌ واجبُ الوجودِ(٦٣) إليه كلُّ فضلٍ وحكمةٍ أنهاها
ظهرت منه حكمة الله للخلق عياناً لأنّه مجتلاها
مَن دعا البدرَ لا نشقاقٍ فأهوى عن سماهُ و خرَّ في بطحاها!؟
كيف يعصيه وهو منه تحلّى حلية النورِ واكتسى أسناها
فهو لو يدعُ جملةَ الشهبِ طرّاً من سماها لحطّها عن سماها
أوَ تعصيهِ! وهي منه استنارت و استقامت به على مجراها
حيث قد كان للوجوداتِ قطباً وعلى مجدِهِ استدارت رحاها
ومن الوحش كلّمته أُسود ثم طُلْسٌ(٦٤) و أعربت عن ثناها
والظّباء(٦٥) سلّمت عليه ولا غرْوَ بأن سلّمتْ عليه ظِباها
و لِتلقى هواه حنّت نياقٌ وعلى مثلهِ حقيقٌ هواها (١٢٠)
والنّباتاتُ كلّمته و أحيا باسقات(٦٦) و أينعتْ بجناها
والعصا أورقت لديه ولا غروَ بأن أورقَتْ لديهِ عَصاها
وله الجذعُ حنَّ شوقاً كثكلى فارط(٦٧) الحزن مَضَّها وشجاها
ومن الصخرِ كم أسال عيوناً بمعينٍ تعبّ(٦٨) في مجراها
والحصا سبّحت بكفّيه جهراً وكثيرٌ من الورى قد وعاها
و إذا سار في الظهيرة أرخت أذيلُ السُّحْبِ فوقَه أفياها(٦٩)

---

(٦٣) المرادبواجب الوجود: هوالله سبحانه، وهو مصطلح أطلقه الفلاسفة الإلٰهيّون في تقسيمهم للوجود الى ثلاثة أقسام: واجب ومستحيل وممكن، أُنظر شرح ذلك في كتب الكلام والفلسفة الإلٰهية.

(٦٤) طُلْس جمع اطلس: وهومن أسماء الذئب، يقال: ذئب أطلس وهوالذي في لونه غبرة إلى السواد.

(٦٥) الظِباء جمع ظبي: الغزال للذكر والأُنثى.

(٦٦) الباسقات: النخيل، يقال بسق النخل: طال، ومنه قوله تعالى: «والنخل باسقات لها طلع نضيد» آية ١٠: ق.

(٦٧) يقال: أفرط من الأمر، أي جاوزفيه الحدّ، والاسم: الفَرْط.

(٦٨) يقال: عَبّ عباباً البحرُ: كثر موجه و ارتفع، والعُبُب: المياه المتدفقة، والعُباب معظم السيل، أو ارتفاع السيل.

(٦٩) الأفياء جمع فيء: ما كان شمساً فينسخه الظلّ، وهومن الزوال الى الغروب، وقد سمّي الظلّ فيئاً لرجوعه من جانب إلى جانب.

حُقَّ لو ظَلَّلتْهُ فهو كريمٌ ... منه نالت حياتَها وحياها(٧٠)
لا تَخَلْ ذا من النبيّ عجيباً ... فهو من آيِ فضله أدناها
لم يَزلْ في البلادِ ينشرُ آياً ... ضاق منهنَّ ـ كثرةً ـ قطراها
(١٣٠) فدعاه اليه ذوالعرش ليلاً ... ليريه من آيهِ كبراها
ثم أسرتْ به إليه براقٌ ... بعروجٍ سبحان من أسراها
وخطا عالَمَ الجوازِ ولمّا ... يبقَ في الكونِ ذرةً ما وطاها
في قليلٍ أقلَّ من لمح طرفٍ ... سُبُحات الجلال قد جلاّها
فدنا من مليكِهِ فتدلّى ... بفنا حضرةٍ تناهى علاها
لم يكن بينه سوى قابِ قوسين وذات الجليل جلّ ثناها
ثم ناجاه ما هناك بما شاءَ يؤدّيه للبرايا شفاها
وعلى كتفِهِ امرَّيداً قد ... أثلج القلب منه بردُ رواها
وحباه من الكراماتِ مالم ... يحوِها غيرهُ ولا من سواها
و إليه مفاتِحَ الغيبِ ألقى ... و أراه كنوزَها فاحتواها
(١٤٠) لا رعى الله من قريشٍ بغاة ... ما رَعَتْهُ ولم يزلْ يرعاها
ظاهرته ببغضِها و تولّتْ ... عن هداه و تابعت طغواها
قد أراها معاجزاً ما رأتها ... من نبيّ ولا الزمانُ رآها
بذلت جهدَها لا طفاءِ نورٍ ... منه لازال بالهدى يغشاها
فأباه الإلٰهُ إلاّ تماماً ... في علاه و نقصِها وانتفاها

* * *

(٧٠) الحيا مقصور: المطر، والخِصب، والمراد هنا الأوّل.